عنوان الكتاب : رحلة سمو الأمير الجليل محمد على إلى البلاد الهندية

المؤلـــــف : **على أحمد شكرى**

سنة النشـــر : ١٩٢٩

رقم العهـــدة : ٥٢٠٢

الـــ ACC : ٥٠٧٨

عدد الصفحات : ٢٦٠

رقم الفيلـــم : ١١

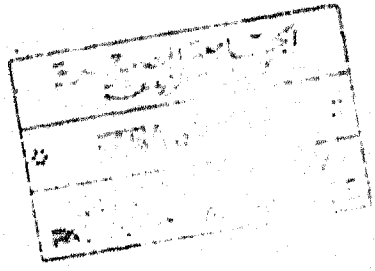

۲۲۲
۱۹۴۹

رحلة

سمو الأمير الجليل محمد علي

إلى

البلاد الهندية

عني بترتيبها وتبويبها

علي أحمد شكري

المطبعة الرحمانية بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله مبدع الكائنات ومعلم الانسان مالم يعلم والصلاة والسلام على نبيه محمد سيد المخلوقات من بعث بالحق وفصل الخطاب وعلى آله وأصحابه أجمعين

وبعد فلما كان القرآن الكريم أكبر معلم للأمم بما حواه من تاريخ مختلف الشعوب وما طرأ عليها من التطورات ولما كان قد حض على السفر فى أنحاء الارض ليتعظ الانسان بقدرة خالق الخلق وليقف بنفسه على بعض أسرار عظمة هذا الكون البديع كقوله تعالى « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » وغيرها من الآيات الكثيرة — فقد ولعت منذ حداثة سنى بالاسفار وتجشم المتاعب فى سبيل استطلاع عجائب الكون لا لمجرد التسلية بل لاتقدم بما رأيت الى مواطنى الاعزاء فيشتركوا معى فى رؤية تلك العجائب بقراءة مادونته عنها دون أن يجشموا أنفسهم عناء أو يثقلوا كواهلهم باعباء ما

وإذا كنت قد تقدمت لمواطنى الاعزاء بما شاهدته فى رحلاتى الثمان الماضية فانى أتقدم اليهم الآن برحلتى الى بلاد الهند تلك البلاد الشاسعة

التى كانت ولا تزال مصدر العجائب . ولقد توخينا الايجاز فى وصف عجائب تلك البلاد حرصاً على وقت القارئ ولكن لم يفتنا أن نلم بطرف مما أنشأه امبراطرة المغول من ملك واسع وما أتوه من عجائب فن البناء مما لايزال يحج اليه الناس من مختلف الأرض لمشاهدته .

وانى لأحمد الله على ما وهبنى من نعمة الصحة والعافية والمال للقيام بهذه الرحلات التى أرى انها جزء من حق الوطن علىّ .

وهنا أبدأ وصف رحلتى وبالله المستعان .

محمد على

الرحلة الهندية

مغادرة جاوا

١٨ اغسطس سنة ١٩٢٩

غادرنا « جاوا » على ظهر إحدى البواخر الهولندية الكبرى وكانت غاصة بالسائحين . ولقد كانت حجر الباخرة فى منتهى النظافة وحسن النظام مما يدل على شدة العناية براحة المسافرين

١٩ اغسطس

وفى صبيحة اليوم التالى خيل الىّ أن حالة الطقس معتدلة ولكن ما كدت أصعد الى ظهر الباخرة حتى شعرت بشدة الرياح فعدت الى مخدعى ولبست قميصا أفرنجيا بياقة صلبة .

وسارت بنا الباخرة تتهادى كالعروس وإلى يميننا جزيرة « بانجكا » وإلى اليسار جزيرة « سومطرة » ولشد ما كانت دهشتى لرؤية اثنين من الانجليز فى « ألبسة » قصيرة من التيل الابيض وهى كثيرة الشبه بما يلبسه الناس فى مصر تحت « البنطلون » ! فأخذت أسائل نفسى هل نحن سائرون فى طريق تقليد العبيد فى ملابسهم التى ما تزال على حالة الفطرة وهل سوف نكون يوماً ما كالسودانيين نكتفى من اللباس بما يستر العورة ؟!

وما تنصفت الساعة الواحدة بعد الظهر حتى كانت الباخرة قدوصلت « مانتوك » عاصمة جزيرة « بانجكا » فأخذ يغادر الباخرة كثير من المسافرين

وأغلبهم من الصينيين وبينهم بعض الاجانب لأن تجارة هذه الجزر يوجد معظمها بأيدى الصينيين .

وقضت الباخرة ساعة فى ميناء « مانتوك » غادرتها بعدها قاصدة « سنغافوره » .

فى الطريق الى سنغافوره

كان السفر من مانتوك مريحا والبحر هادئا وليس فى هذا ما يدعو للدهشة إذ كنا نسير بقرب شواطىء الجزر .

وما وافت الساعة السادسة مساء حتى اجتزنا خط الاستواء . وهذه هى المرة السادسة التى اجتاز فيها هذا الخط أثناء سياحاتى العديدة حول العالم . وكان الطقس دافئا والبحر هادئا والسفر مريحا .

٢٠ اغسطس

وبكرت فى الاستيقاظ صباح يوم ٢٠ أغسطس فلم تحل الساعة الرابعة حتى كنت أتهيأ لصلاة الفجر . فاما فرغت من الصلاة شرعت أتأهب لمشاهدة منظر مدخل ميناء سنغافورة التى كان مقرراً أن نصلها فى الساعة السادسة صباحاً .

وفى الساعة الخامسة تكشفت لنا أنوار المدينة . وليس شك فى أن مدخلها كمدخل غيرها من المدن التى تحيط بها الجزر العديدة ، يعتبر آية فى الحسن والابداع ذلك لأن منظر الجزر يكسب المدينة بهجة و نضرة . على أن اغتباطنا بهذا المنظر لم يدم طويلا بسبب ما انتشر فى الأفق من الضباب الكثيف الذى حجب عنا الرؤية مما ذكرنا بجولندن فى شهر نوفمبر

حيث ينتشر الضباب الكثيف فيكاد يعمى الأبصار . ولعل انتشار الضباب هو الذى أخر الباخرة عن الميعاد المقرر لوصولها بنحو نصف ساعة ، فبدلا من وصولها فى الساعة السادسة وصلت فى منتصف الساعة السابعة .

فى مدينة سنغافوره

كنا نظن اننا سننزل إلى البر بمجرد وصولنا الى الميناء ولكننا لم نتمكن من النزول لأن الموظفين المختصين بفحص جوازات السفر لم يحضروا الينا فورا لسبب انشغالهم بفحص جوازات المسافرين الأمريكان الذين وصلوا قبلنا باحدى البواخر الأمريكية التابعة لشركة « دولار لين » . وقد لبثنا ننتظر رجال الجوازات ريثما ينتهون من فحص جوازات أولئك المسافرين ثم يتفرغون لنا .

وطال بنا الانتظار وبعد ساعة وربع من وصولنا للميناء وافانا أحد موظفى الجوازات ولشد ما كانت دهشتنا بعد كل هذا الانتظار الممل اذ رأيناه يكتفى بالقاء نظرة عجلى على جوازاتنا كأنها كانت بعد طول الانتظار لا تستحق إلا مجرد الفحص السطحى ! وبعد الأنتهاء من فحصها بدأ السائحون ينزلون الى البر .

نحن الآن فى سنغافورة . وهى ميناء حر بكل ما تحمله هذه اللفظة من المعانى . أى أنها ميناء بلا جمارك .

ثم اذا نحن بمندوب شركة كوك وقد جاء يستفسر عما نريد فسلمناه أمتعتنا وراح يستأجر لنا سيارة لتقلنا إلى فندق « اوربا » وهو أكبر فنادق هذه المدينة وأفخمها .

وإذا تكلمنا عن كبر الفندق وفخامته فليس إلا من باب التسامح لاغير، وإلا فانه لا يخرج فى الواقع عن شكل « وكالة » شاسعة أو «قشلاق» متسع الجنبات ثم هو فوق كل ذلك مبنى على الطراز القديم

فلما بلغنا الفندق خف لاستقبالنا موظفوه وهم من الهنود . ثم علمنا أن إدارته بأيدى الهنود بينما يتولى الصينيون أعمال الحسابات فيه . وفى صالة الفندق الكبرى الفينا عددا كبيرا من السائحين الاوستراليين ممن سبقونا الى زيارة هذه المدينة .

أما قاعة الطعام فكبيرة الحجم وهى فوق ذلك جميلة يتخللها الهواء ولكن حجر النوم لم تدخلها بعد الاستعدادات الحديثة بمعنى أنها لا توجد فيها مواسير للماء البارد والساخن . ومما لفت أنظارنا بصفة خاصة أن كل مخدع من مخادع النوم كان له درج يؤدى الى « خزنة » صغيرة ظننا ها فى بادىء الأمر محلا معدا للعفش والأمتعة ولكن كم كانت دهشتنا إذ علمنا أنها تستعمل بمثابة « بيت الخلاء » .

وفى الحق أن الانسان لتدركه الدهشة لخلو مدينة عظيمة كسنغافوره يؤمها عدد كبير من الأجانب من فندق لائق مجهز بمختلف وسائل الراحة الحديثة !

وفى منتصف الساعة الحادية عشرة عاد الينا مندوب شركة كوك للاطمئنان على راحتنا وللسئوال عما اذا كنا مغتبطين بما حجزه لنا من الحجر فى الفندق وأخذ يستفسر هل كان البحر هادئا والسفر مريحا وما إلى ذلك من الأسئلة . فلما انطلق إلى حال سبيله نزلت لمشاهدة المدينة والتفرج على

ما فيها من العجائب التى كانت تشرئب نفسى إلى رؤيتها كصناعة الحرير الصينى وغيرها من أنواع التجارة الهندية وتجارة البلاد الشرقية النائية المختلفة . ولا أكتم القارىء انى شعرت بشىء من خيبة الأمل اذ وجدت أن كل ماتقع عليه العين هنا هو دون مايشاهده الانسان فى البلاد الأوربية .

وفى الساعة الرابعة بعد الظهر غادرت الفندق بعد تناول الشاى للتجول بالسيارة فى أنحاء المدينة فرأيت عمارة مصلحة البريد وهى ضخمة تأخذ الأبصار بجمال شكلها وفخامة بنائها . ولكن المدينة خالية من الدكاكين والمخازن الكبرى ثم أن شوارعها قذرة تنبعث منها رائحة كريهة .

وانطلقت بنا السيارة قاصدة « الكازينو » على شاطىء البحر فررنا فى طريقنا اليه بمصنعين من مصانع المطاط تنبعث منهما روائح كريهة جداً تعافها النفس ، ثم اجتزنا ما يسمى « شارع الأرمن » و « شارع العرب » ولاحظنا حيثما توجهنا أن أغلبية أهالى سنغافورة صينيون .

وهناك شارع جميل حقا وهو شارع « الكسندرا رو » نسبة إلى الملكة الكسندرا والدة جلالة الملك جورج الخامس . وهو أبهج شوارع المدينة بلا جدال وهو عامر بمنازل كبار الأغنياء الأجانب . وبالجملة فلقد كان الأثر الذى خلفته فى نفوسنا هذه الزيارة لأنحاء المدينة انها مدينة عاطلة من الجمال لا تستحق أن يعيش فيها الأنسان .

ومما لفت أنظارنا فى سنغافوره بصفة خاصة أن مركبات الأوتوبس لا يصرح لها بنقل أكثر من عشرة أشخاص وهذا يقضى طبعا أن يكون حجم المركبات صغيرا تفاديا من ازدحام الشارع وتعطيل حركة المرور فيه .

واذا أشرت إلى هذه المسألة فلكيما أدل على أن ولاة الأمور هناك فكروا أولا وقبل كل شيء فى راحة المارة فى الطريق .

وفى طريق عودتنا إلى الفندق ابتعنا نوعا من الفاكهة يسمى «مانجوستين» طالما سمعت أطنابا فى حلاوة طعمها حتى لقد زعموا أنها أحلى فاكهة فى العالم وكنت طبعا كثير الميل إلى تذوق طعمها . فناولناها « للسفرجى» لوضعها فى « الثلاجة » لتناولها مع طعام العشاء لأنها لا تؤكل إلا مثلجة . ولقد صدق الخبر الخبر فيما بعد فهى بلامراء ألذ وأشهى ماذقته من الفواكه إلى يومنا هذا .

٢١ اغسطس

وفى منتصف الساعة التاسعة من صباح يوم ٢١ أغسطس بارحنا الفندق قاصدين زيارة حديقة النباتات حيث كان المدير فى انتظارنا بناء على موعد معه حددناه تليفونيا من قبل . فألفيته شابا إنجليزيا حلو الحديث دمث الأخلاق وقد علمت أنه كغيره من النباتيين الانجليز قد تلقى دروسه التطبيقية فى حديقة « كيو » الشهيرة بضواحى لندن . فطاف بنا فى مختلف أنحاء الحديقة وأطلعنا على أهم ما لديه من النباتات وأبدى كثيراً من اللطف والاستعداد لأن يبيعنا ما نشاء من مجموعة نباتاته الصغيرة .

وسلخنا من الزمن نحو ساعة أحطنا فيها علماً بكل ما فى حديقته التى وإن لم تكن كبيرة الحجم ولا تحتوى على عدد كبير من الأشجار إلا أن القليل الذى فيها قد استعمل منتهى سلامة الذوق فى تنسيقه . وعندى أن هذه الحديقة فيها الكفاية لمدينة من طراز سنغافوره .

ويستطيع الانسان وهو فى الحديقة أن يرى على مد البصر قصر السلطان جوهور . ولما أشبعنا أنفسنا بمناظر هذه الحديقة غادرناها قاصدين زيارة أحد المعابد الصينية الذى طارت شهرته فى الآفاق بسبب ما يحتويه من بدائع الفن وأعمال الحفر الجميلة على الخشب المموه بالذهب على الطراز الصينى . وفى الحق ان منظر المعبد ليأخذ الأبصار بروعته وجماله . ولا يفوتنى أن أذكر هنا أن زيارتنا للمعبد كانت فى الوقت نفسه خيرا وبركة على جماعة الفقراء الصينيين الذين هرعوا الى الالتفاف بنا عند مدخل المعبد . وحوالى الظهر عدنا إلى الفندق .

وفى منتصف الساعة الخامسة مساء قصدنا بالسيارة إلى ضواحى المدينة طلباً للنزهة . وهنا لا يسعنى إلا أن أقرر مع الأسف الشديد أن كل ما وقعت عليه أعيننا من المنازل كان فى منتهى القذارة ثم أن الأهالى كانوا فى منتهى الفقر المدقع تعلوهم الأوساخ والأقذار . ومما يزيد الطين بلة أن البحر تنبعث منه وقت الجزر روائح منتنة كريهة يغلب على الظن أنها تسبب أمراضاً كثيرة . وليس من المبالغة فى شيء أن أقول إننا لم نشعر بأننا نتنزه فى الضواحى إلا بعد ان ابتعدنا فعلا عن العمران بنحو ستة كيلو مترات . ثم وصلنا إلى هضبة تسمى « الفتحة » يطل منها الانسان على منظر جميل لبوغاز سنغافوره

والمدينة هنا شبيهة بغيرها من بلاد الهند الهولندية وسواحل شمالى أوستراليا الشرقى بمعنى أنها تتركب من عدة جزر صغيرة تكسوها حلة من الخضرة البديعة . أما الزراعة فى ضواحى سنغافوره فعظمها أشجار المطاط .

وما أشبه حالة الزراعة هنا بحالتها فى مصر . فان شدة التهافت على زراعة المطاط قد أدى إلى زيادة العرض عن الطلب مما كانت نتيجته وقوع السواد الأعظم من الأهالى فى الفقر .

وأغنياء سنغافوره صينيون . ومع أن هذه المدينة واقعة فى شبه جزيرة « الملايو » فان أغلبية سكانها من الجنس الصينى بدلا من أن يكونوا من جنس « الملايو »

ثم مررنا بحديقة غناء فى وسط أراض متسعة علمنا أنها لأحد أغنياء المسلمين . وفى وسط الحديقة رأينا بحيرة صغيرة يتوسطها انموذج بديع كبير الحجم لبارجة حربية تخفق عليها الراية العثمانيه وقد سميت هذه البارجة الصغيرة « حميدية » .

ومن هناك ذهبنا لمشاهدة خزان مياه الشرب الخاص بمدينة سنغافوره فرأيناه فى وسط حديقة عمومية جميلة منسقة أبدع تنسيق . والمنظر هنا رائع حقاً فان الأشجار تنعكس صورتها على صفحة الماء فيخيل إليك أنك أمام مرآة . وقد أقيم حول حوض المياه حاجز حديدى لمنع وصول الأيدى إلى المياه وتلويثها .

ومبالغة فى العناية لاحظنا أن المياه فضلا عن كونها مقطرة فانها مغلية .

وفى عودتنا إلى الفندق سلكنا طريقاً مستقيمة قامت على جانبها أشجار باسقة محاذية لشريط السكة الحديدية التى تصل سنغافوره « ببينانج » . وقبيل العودة إلى الفندق قصدنا أحد الدكاكين الصينية لابتياع بعض اللوازم الحريرية .

٢٢ اغسطس

وفى منتصف الساعة السادسة من صباح يوم ٢٢ أغسطس كان المطر يهطل بغزارة ولكن كان الطقس حارا برغم المطر . فامتطينا المركبة المسماة « ركشو » وهى ذات عجلتين خفيفتين يسحبها الحوذى نفسه وقصدنا المتحف ومنه إلى محل شركة كولك وهناك أسفنا إذ علمنا أن الباخرة التى كانت ستقلنا إلى « رانجون » قد تأخر ميعاد وصولها بنحو ٢٤ ساعة وانها آتية من « مدراس » وتعنى بنقل البضائع أكثر مما تعنى بنقل الركاب ولذا أعدت نصفها للبضائع والنصف الآخر للركاب . وزاد فى أسفنا لسماع هذا النبأ اننا سنضطر إلى البقاء فى هذه المدينة القذرة ٢٤ ساعة أخرى . ثم اننا بهذا سنضيع فرصة اللحاق بالباخرة التى تقلنا إلى « كلكته » ، ومما ضاعف أسفى انى كنت قد حجزت أمكنة فى الباخرة التى تقلنا من « بومباى » إلى مصر فخشيت أن لا ألحق تلك الباخرة أيضا من جراء ذلك التعطيل .

وخرجنا بالسيارة بعد ظهر ذلك اليوم فى طلب النزهة . فزرنا فى الطريق دكانا وكان لأحد تجار الحيوانات من أهالى المالاى . فرأينا فى الأقفاص أربعة نمور كبيرة الحجم وكثيراً من الثعابين الضخمة وعدداً من القردة والعصافير المختلفة الألوان وغيرها من كافة ما يوجد فى الجزر القريبة من الحيوانات التى ترسل إلى سنغافوره لنقلها بالتالى إلى أوربا وأمريكا . وأغلب الظن أن هذه الحيوانات اشتريت فعلا وأعدت للشحن إلى انجلترا ولا يبعد أن تكون برسم حديقة الحيوانات هناك .

ولفت نظرى بصفة خاصة بين هذه الحيوانات نوع غريب من « البوم »

هذا إلى ثعبان ضخم ذى لون فيروزى جميل .

ولبثت إلى منتصف الليل دون أن استطيع النوم ولست أدرى هل كان ذلك بسبب ما أحدثه زوار الفندق من الضجيج والصخب بسياراتهم التى ينيف عددها عن الثلاثين .

ولا بد من القول هنا بأنى منذ اليوم الذى تركت فيه اوستراليا الجنوبية لم أذق للنوم الهادىء طعما ولست أعرف أكان ذلك سببه شدة الحرارة أم كثرة الحشرات والهوام .

٢٣ اغسطس

وفى صبيحة يوم ٢٣ اغسطس بكرت لزيارة حديقة النباتات لدفع ثمن ما كنت قد ابتعته من الأشجار ثم عرجت على شركة كوك لحجز الأماكن اللازمة على ظهر الباخرة .

وفى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر أخذنا السيارة قاصدين زيارة بلدة جوهور وهى على بعد ١٦ ميلا من سنغافوره . والطريق اليها سهلة معبدة ومفروشة بالأسفلت يحف بهامن الجانبين شجر المطاط .

وتتصل شبه جزيرة سنغافوره بشبه جزيرة « الملايو » برصيف يبلغ طوله كيلومتراً واحداً . وقد أنشىء فى منتهى الجزيره كوبرى « هويس » لمرور البواخر وهو كثير الشبه بالكوبرى الذى يصل بولاق بالجزيرة من حيث طريقة فتحه لمرور السفن .

أما « جوهور » المدينة فليس فيها ما يستلفت الانظار والبوليس من أهالى الملايو وهى بمثابة ملجأ يقصده المرضى من الاجانب الذين يتركون سنغافوره ويلجأون الى مستشفيات جوهور لاعتدال مناخها .

ورأينا فى جوهور حديقة غناء ترتفع إلى جانبها هضبة عليها قصر قديم لسلطان جوهور يقال أنه يحتوى على آثار السلطنة وبقرب القصر مسجد وإلى جانب الاخير مصالح الحكومة ثم الحصن الخ . ومن هذه الهضبة يرى الانسان منظراً جميلا مطلا على البحر . وتوجد على مقربة من المدينة أراض شاسعة مزروعة بشجر المطاط .

أما المستشفى فهو بناء كبير واقع فى وسط حديقة شاسعة جميلة ويلوح عليه أنه من أفخر المستشفيات ويتولى الاشراف على ادارته جماعة من الانجليز

وبعد نصف ساعة قضيناها فى التجول فى أنحاء المدينة زرنا المقابر وهى وإن كانت إسلامية إلا أنها مصفوفة بشكل منظم تتخللها الأشجار والزهور مما يكسبها رونقا وبهاء يذكر الانسان بمقابر الافرنج . ولقد ذكرنى نظام هذه المقابر بما شاهدته فى مقابر المسلمين فى « تلمسان » على الحدود المراكشية من حيث العناية والترتيب .

وأهالى جوهور اقزام يضرب لونهم الى السمرة أكثر من أهالى جاوا أو الصين مع أن عروقهم يجرى فيها الدم الصينى . ويبلغ عدد الاهالى ١٦٠٠٠ نسمة وتقع جوهور فى بوغاز « تبراو » فى مقابل جزيرة سنغافوره وهى متصلة بها بواسطة جسر تمر فوقه سكة حديد سنغافورة ببنانج وكذلك الطريق الممتدة بين هاتين المدينتين .

أما القوة العسكرية فى كل من سنغافوره وجوهور فهى من جنود السيخ ومهمتها الدفاع عن البلاد والقيام باعمال الشرطة .

ثم عدنا الى الفندق فى الساعة السابعة مساء .

٢٤ اغسطس

وفى الساعة الثالثة من صباح اليوم التالى هطل المطر بشدة لاتعرف فى غير المناطق الاستوائية . واستمر يهطل ثلاث ساعات سويا حتى غطى شوارع مدينة سنغافوره تماما .

وفى الساعة التاسعة حضر رجال شركة كوك لنقل حقائبنا الكبيرة الى الباخرة . وما وافت الساعة العاشرة حتى بارحنا الفندق فى السيارة وقصدنا الباخرة وهى احدى البواخر الصغيرة التابعة لشركة « بريتيش انديا » ولا تتسع لاكثر من ٤٠ راكب من ركاب الدرجة الأولى واسمها « اكسيما » ومما لفت نظرى فى هـذه الباخرة أن حجرها كبيرة ولـكن لا توجد فيها مناضد ولا أدراج وسنقضى على ظهرها ستة أيام .

والآن وقد غادرت سنغافوره فلا بأس من ذكر المعلومات الشيقة الآتية. فقدكان أول من اتخذ الجزيرة كمستعمرة بريطانية السير ستامفورد رافلز الذى ظل حاكما بها من سنة ١٨١٩ الى ١٨٢٣ . وتقع جزيرة سنغافوره بالقرب من شبه جزيرة الملايو الى الجنوب من جوهور وتتصل كما قلنا بالياسة بكوبرى تمر فوقه السكة الحديدية والطريق العمومية وسكة السابلة تمتد من وودلندز من ناحية سنغافوره الى بوغاز جوهور باهرو عاصمة جزيرة جوهور ومقر سلطان جوهور . ويبلغ طول الجزيرة ٢٧ ميلا وأقصى عرضها ١٤ ميلا. أما السكان فقدرهم بمقتضى الاحصاء الاخير ٤٢٠٫٠٠٠ نسمة منهم ٣١٥٫٠٠٠ صينى و ٥٤٫٠٠٠ من أهالى الملايو و ٣٢٫٠٠٠ من الهنود . أما الاجانب فلا يتجاوز عددهم بضعة الاف .

ويوجد فى شاطىء سنغافوره « حوض الملك » ويتسع للسفن التى يبلغ تفريغها ٤٠٫٠٠٠ طن هـذا الى الارصفة العديدة المعدة لرسو السفن وما يلحق بها من الاحواض الصغيرة التابعة لهيأة ميناء سنغافوره الموجودة فى تاندجونج باجار حيث ترسو معظم بواخر المحيط . وتبعد تاندجونج باجار عن الفنادق بنحو ثلاثة أميال .

وتمر البواخر الآتية من بانجكوك وسيجون وهونج كونج واستراليا وجاوا الخ الى الارصفة المعدة لرسو السفن من الجهة الاخرى بحيث يستطيع الانسان أن يرى من على ظهورها منظر المدينة باكملها

أما سفن السواحل وبعض بواخر المحيط فتلقى مراسيها قريبا من مرفأ جونستن حيث تنقل « اللنشات » الركاب وامتعتهم الى البر .

وللمرء أن ينتقل من جهة الى أخرى بواسطة السيارة أو «الريكشو» وأجرة السيارة التى تحمل أربعة أشخاص من ثلاثة ريالات الى أربعة عن الساعة الواحدة والتى تحمل سبعة أشخاص من خمسة الى ستة ريالات .

وتوجد معظم الدكاكين الأوربية والمخازن الكبرى فى شارع رافلز وشارع باتارى وشارع اورشارد وهو الطريق المؤدى الى حى المساكن وحديقة النباتات .

ولا تعتبر سنغافوره من البلاد التى يلقى فيها الباحث عن «الانتيكات» بغيته . نعم أن فضة الملايو جذابة ولكن النماذج الطيبة منها يصعب الحصول عليها . ويمكن ابتياع خيزران « ملاكا » مجردا من قطع المعدن او مطعما بها

فى شارع هاى ، كما يمكن الحصول على التحف القيمة المصنوعة من عظم السلاحف وان كان الموجود منها قليلا محدودا . وكذلك الجواهر والأخشاب المحفورة والحرير و«الدنتلة» يمكن ابتياعها كلها فى سنغافوره وإن كانت واردة من الخارج .

أما مسألة المواصلات فان السفن تجرى بين فترات قصيرة قاصدة جاوا وسومطرة وبانجكوك وسيجون الخ . وتسافر قطارات الاكسبريس مرتين يوميا من سنغافوره — وبها عربات حديثة للنوم وللأكل — قاصدة مالاكا وسيريمبان وكوالا لومبور وبينانج وتسافر من هذه الأخيرة قطارات الأكسبريس مرتين فى الأسبوع الى بانجكوك حيث تجتاز المسافة اليها فى ٣٤ ساعة ويتعين على الرعايا الغير البريطانيين المسافرين بالبواخر أو بالقطار الى سيام أن يؤشروا على جوزات سفرهم من مكتب مدير الشرطة .

من سنغافوره الى بينانج

غادرنا فندق سنغافورة ضحى يوم ٢٤ اغسطس بالباخرة « اكسيما » كما قدمنا . ولسوء الحظ كان موقع المخدع المعد لنومنا غربيا تتسلط عليه أشعة الشمس الحارة طول بعدالظهر فتحوله الى أتون يستحيل النوم فيه ليلا .

وقد لاحظنا مع الأسف الشديد أن مدير شركة كوك فى سنغافوره لم يسهر السهر الكافى على راحتنا مع أن المستر كوك نفسه كان قد أوصاه شخصيا بأن لايدخر وسعا فى العمل على مرضاتنا وإذا كان مندبو شركة كوك

فى الجهات الأخرى قد سهروا على راحتنا فانهم فى سنغافوره أهملوا أمرنا ولم يعيرونا التفاتا .

وعند الظهر تماما تحركت الباخرة وغادرنا سنغافورة فررنا وسط الجزائر المحيطة بها فى طريقنا الى بينانج . وكانت مناظر الجزائر رائعة تبهر الانظار

وفى الساعة الواحدة بعد الظهر دق جرس الطعام فلاحظت أن عدد الركاب فى الدرجة الأولى لم يزد على ١٢ ومعظمهم من التجار الأجانب أو من موظفى حكومة الملايو . وقد طلبت الى أحد ضباط الباخرة أن يستبدل حجرتى بأخرى ولكنه أخبرنى أن ذلك أمر غير مستطاع .

وكان الطعام على الباخرة رديئاً جداً .

وفى الليل انتشر ضباب كثيف حتى حجب الجو وصحبه هطول أمطار غزيرة مدة ساعة حتى خشينا أن ترتطم الباخرة باليابسة . ثم ما لبث أن انكشف الجو بعد ذلك فاستطعنا رؤية المنائر وما ينبعث فيها من الأنوار إذ ليس يخفى أن بوغاز « ملاكا » هو الطريق العام للملاحة إلى الشرق الاقصى وأوستراليا فهو لهذا السبب مملوء بالبواخر فى طريق ذهابها وإيابها

٢٥ أغسطس

وفى صبيحة يوم ٢٥ أغسطس كان الجو قد تلطف كثيراً وقد ابتعدنا عن ساحل جزيرة سومطرة وأصبحنا فى وسط الجزر التابعة « للملايو »

وعند الساعة الثالثة أشرفنا على ميناء بينانج وهى عاصمة ولايات الملايو المتحدة ، وفى الساعة الرابعة جاء « الدليل » لارشاد الباخرة الى الميناء نظراً لعدم عمق المياه حول كثير من هذه الجزر وخاصة وان للمدن

والجزر فى تلك الجهات تأثيراً يخشى منه على ارتطام السفن ان لم تكن مصحوبة بالدليل . ثم ألقت الباخرة مراسيها فى الميناء التى ينقصها وجود رصيف معتاد .

فى مدينة بينانج

لما كان برنامج السفر يقضى بوقوف الباخرة « اكسيما » فى بينانج الى الساعة التاسعة مساء رأينا أن ننزل لرؤية مافيها مما يستحق الزيارة . وفى ابان فترة الانتظار صعد الى السفينة عدد من التراجمة الهنود مقترحين على الركاب استصحابهم بالسيارة لرؤية مافى المدينة من الآثار فى مقابل أجر يتراوح بين أربعة دولارات أو خمسة ، فقبلنا الاقتراح واخترنا أحدهم للتوجه معنا الى البر فى رفاص الشركة ومن ثم أخذنا السيارة وبدأنا نجوس خلال المدينة وهى فى منتهى النظام وبها فيللات جميلة وسط حدائق غناء أغلبها ملك للافرنج ولبعض أغنياء الصينيين .

وتقع بينانج فى جزيرة وهذه عبارة عن حديقة جميلة . والطرق معبدة ومفروشة بالاسفلت ومظللة بالاشجار الباسقة الضخمة ، وبها مكان لسباق الخيل يفوق فى جماله واتساعه مكان السباق بالقاهرة ثم ان الانسان لا يرى أثراً للروائح الكريهة التى رآها فى جاوا أو فى سنغافوره . ويقال أن كثيرين من الانجليز يؤثرون المعيشة فى هذه المدينة وبها حديقة نباتية تقع فى واد بين جبلين ويشقها نهير صغير . وقد لاحظنا أن ولاة الأمور تركوا الحديقة على حالتها الطبيعية وخصصوا سكة للسيارات لنقل

الناس اليها . والمنظر هنا رائع جداً ولهذا يخرج الاهالى للتنزه فيها بعد الظهر زرافات زرافات حتى اذا احتشدوا فيها هرعت اليهم القردة من مكامنها لالتقاط مايجودون به عليها من الموز والفواكه .

ومن هناك قصدنا المعبد الصينى القائم على إحدى الهضاب . وتسير على مقربة من هذه الهضبة سكة حديدية جبلية توصل بينانج ببعض القرى الواقعة على ارتفاع ١٠٠٠ متر . أما المعبد الصينى فهو فى الواقع سلسلة معابد مبنية بصفة شرفات على جانب التل . وهناك عدة فيللات صغيرة جميلة يشهد فيها الانسان منظراً بديعاً لجميع نواحى الجزيرة والبحر .

ثم مررنا بعد ذلك بجملة أندية الى أن وقفنا عند مصلحة البريد لارسال خطاباتنا . ومما لفت أنظارنا أننا رأينا عند اختراقنا الحى الأهلى عدة دكاكين صينية وبها من البضائع ما يفوق فى جماله ودقة صنعه ما رأيناه فى سنغافوره وبقرب رصيف الميناء وجدنا ساعة كبيرة فى أعلى أحد الابراج المبنى على الطراز الهندى الفارسى . وقد أهداها للمدينة أحد اغنياء التجار الصينيين .

وتوجد حول الجزيرة طريق للنزهة بالسيارات وهى طريق جميلة ويبلغ طولها نحو ٣٥ ميلا وهى من أجمل الطرق للنزهة بالسيارات ، ويخرج الناس لهذه النزهة فى الصباح المبكر بينما يفضل بعضهم أن يخرج اليها فيما بين الساعة الثالثة والسادسة بعد الظهر

وتقع المخازن الاوربيه على مقربة من الميناء ثم ان بالمدينة عددا ليس بالقليل من الدكاكين الصينية والهندية .

وعدنا بعد هذه الجولة الى الباخره فرأينا عشرة من الركاب الامريكان

قد صعدوا الى ظهرها . وفى منتصف الساعة العاشرة مساء غادرت بنا مدينة بينانج .

وقد يحسن أن أضيف هذه الملاحظات الطلية وهى خاصة بتاريخ المدينة . فقد كان اول رجل انجليزى وطأت قدماه أرض بينانج (أوجزيرة البرنس أوف ويلز) الكابتن سير جيمس لانكستر الذى كان هو ورجاله وسفنه فى حاجة الى الراحة ولذا ألقى مراسى السفن أمام ميناء صالحة واقفة بين ثلاث جزر . وكان هذا فى شهر يونية سنة ١٥٩٢

أما المستعمرة فان الذى أوجدها فعلا هو الكابتن لايت من رجال شركة الهند الشرقية فى سنة ١٧٨٥

وقد نزل الى البر على رأس قوة من الملاحين عددهم ١٠٠ شخص و٣٠ من لاسكار كلكتا عدا ١٥ من رجال الطوبجية الانجليز ومعهم خمسة من الضباط ولم تابث أن أصبحت بينانج اليوم ثانى موانىء بلاد الملايو بعد سنغافوره من حيث الأهمية.

أما الجزيرة التى تقع فى غرب شبه الجزيرة فى خط العرض رقم ٥ شمالا فتبلغ مساحتها ١٠٧ ميلا مربعا وطولها ١٥ ميلا وأقصى عرضها تسعة أميال .

واسم المدينة والميناء فى عدة خرائط جغرافية « جورج تون » ولكن تسمى المدينة والجزيرة الآن « بينانج » ولا يستعمل اسم مدينة « جورج » فى لغة البلاد المحلية مطلقا .

والجزيرة عبارة عن جملة تلال ووديان ويبلغ ارتفاع « التل الغربى »

وهو أعلى التلال نحو ٢٧٥٥ قدما . وبالقرب من هذا التل يوجد تل « بنديرا » وهو مكان يأوى اليه القوم انتجاعا للصحة . ويوجد فيه «فندق كراج » وعده فيللات صغيرة جميلة .

ومنظر الجزيرة من ناحية البحر فى غاية الجمال والابداع ويفوق منظر مدخل ميناء سنغافوره فى الفخامة بمراحل .

بين بينانج ورانجون

قلت اننا بارحنا بينانج فى منتصف الساعة العاشره من مساء يوم ٢٥ اغسطس وفى صبيحة اليوم التالى كان المطر يهطل بشدة والرياح تهب بعنف بينما كان البحر هائجا . ولم يكن فى هذا ما يدعو الى الدهشة لأن الفصل كان فصل المونسون . ولشد ما خشينا أن تكون هذه الرياح والامطار من علامات المونسون . ومع أن درجة الحرارة كانت مرتفعة فقد خشينا أن تزداد وتشتد الاعصار فتؤدى الى ما لا تحمد عقباه . ولكن حمدا لله تعالى فقد هبطت الرياح وخفت الامطار عند غروب الشمس .

وتحدث الىّ أثناء السفر ضابط الباخرة الميكانيكى فأوقفنى على سر أخذ الباخرة من بينانج ما حولته سفينتان صغيرتان من جوز الهند لنقله الى رانجون . ذلك أن جزر الملايو مغطاة بالغابات والاحراج فلا توجد فيها أراض صالحة للزراعة فيضطر الاهالى الى اتلاف الكثير من شجر جوز الهند للحصول على ما يكفى من الارض لزراعة الخضر والفواكه . أما ما يستغنون عنه من جوز الهند فانهم يرسلونه الى « بورما » لبيعه فيها حيث يستعمله أهالى بورما فى الطعام من ناحية ولاستخراج عصير خاص من

الخمر من الناحية الاخرى . وهذا هو السر فى أن جزر الملايو ترسل الى بورما سنويا ما تبلغ حمولته ١٠٠ر٠٠٠ طن من جوز الهند .

٢٧ أغسطس

بدأ المطر يهطل من منتصف الساعة السادسة صباحا وجعلت السفينة تترنح من جانبيها . وعند الساعة ٣٠ : ٩ مرت الباخرة أمام جزر «ستوريس» وهى سلسلة جزر صغيرة خالية من السكان بسبب صغرها . أما من فيها من السكان القلائل فيتنقلون بالفلائك والقوارب من جزيرة إلى أخرى فى طلب الرزق فتراهم يزرعون فى احدى الجزر قليلا من الأرز وفى الأخرى قليلا من الموز وهكذا بينما هم يعيشون فى جزيرة ثالثة . وفى السواحل وفى داخل الجزر كثير من المعادن كالقصدير وغيره ولكن السكان لا يستطيعون استخراجها ولا الانتفاع بها لعدم وجود الماء العذب فى الجزر ولبعدها عن اليابسة . واذا كانت هذه الجزر قد خلت من السكان فان المعلوم أن بها أنواعا جميلة مختلفة من العصافير وكذا الزهور النادرة الوجود من الفصيلة السحلبية (الاوركيديه) . ونظرا لقلة السكان فالمفهوم أن تكون الجزر غاصة بالثعابين ولكن وجه العجب هنا هو كيف وجدت الثعابين والهوام طريقها إلى تلك الجزر التى تحيط بها المياه من جميع النواحى ؟ !

ومررنا بعد ذلك بجزيرة « موسكا » وبها جنس من عصافير الجنة اشتهرت أعشاشها بين الصينيين بأنها تطبخ كحساء لذيذة الطعم وهى من أشهى مأكولات الصين . ولهذا السبب استأجر بعض كبار التجار الصينيين هذه الجزيره للاستيلاء على الأعشاش المذكورة والاتجار بها وبيعها فى

الصين بأثمان مرتفعة لاستعمالها فى طبخ الحساء .

وانقضى اليوم والسماء ملبدة بالغمام الكثيف والجو فى شدة البرودة حتى أن الانسان لم يكن يصدق أننا بالقرب من الهند . وكانت إلى اليسار جزيرة «انداما ن» التى اتخذها الانجليز مكانا لنفى المسجونين من الهند و بورما .

٢٨ أغسطس

هطلت السماء مدرارا ونحن الآن بقرب السواحل ولكن لم نستطع رؤية شىء لعدم وجود جبال بالقرب من الشاطىء

وفى الساعة التاسعة إلا ربع رأينا أول السفن المجهزة بالفنار الذى يستعمل لارشاد البواخر عند دخول الميناء . وهنا أدركنا أننا على مقربة من مصب نهر «اروادى» .

وفى منتصف الساعة العاشرة لاح لنا رفاص صغير خاص بالدليل . فلما اقترب منا صعد صاحبه إلى سطح الباخرة وأخذنا ندخل النهر تدريجا وقد لاحظنا أن مصب النهر هنا عريض جدا . ومما لاحظناه وفرة النباتات المائية ذات الزهر الأزرق التى يوجد مثلها فى الحدائق المصرية وان كانت هناك تعد بالملايين وتنحدر مع التيار .

وأحسب أن لا محل للاستغراب لكثرة هذه الزهور واهمال شأنها . أليست فى تربتها الوطنية ؟ ويرى الانسان على ضفتي النهر والى مدى ستة أميال أراض طينية ولكنها مجردة من النبات . وهذه هى طبقة الطمى التى يقذفها نهر اروادى على جانبيه .

وأخذت الباخرة تسير وسط النهر فى ممر مشهور يسمى «قناة رانجون»

وعرض هذه القناة ميل ونصف ميل .

وبعد مسير نصف ساعة بالباخرة بدأت تظهر أمامنا السواحل الخضراء وأغلب الأراضى فيها مزروعة أرزا وبها قليل من الأشجار الباسقة .

وفى الطريق يجد الأنسان بعض المنازل الخشبية الصغيره وقد قامت الأشجار بقربها . ومما يستلفت نظر الأنسان هنا — لأنه منظر جديد بالنسبة اليه — البريق المنبعث من انعكاس أشعة الشمس على معابد بورما المموهة بالذهب الوهاج والتى أنشئت على طراز « القلة » . والمسافة بين أول سفينة مجهزة بالفنار ومدينة رانجون نحو ٣٥ ميلا . وقبل دخولنا المدينة رأينا عدة مصانع لاستخراج زيت البترول . ويقال إن بالمدينة مصانع بترول عديدة لاستخراج البنزين وزيت موبيل الذى تستعمله البحرية البريطانية وهو من أجود صنف . ومن المصانع التى اشتهرت بها رانجون مصنع الشمع وخاصة الشمع الكبير الحجم الذى يستعمل فى اضاءة المعابد والكنائس والمساجد .

وعند الساعة الواحدة بعد الظهر كنا بقرب الرصيف ولكن الباخرة لم تستطع الاقتراب منه بسبب انخفاض مستوى المياه فاضطررنا أن ننتظر ريثما يحين ميعاد مد البحر

وفى هذا الوقت حضر الينا رجال الجمرك والطبيب ورجال البوليس وبعد الانتهاء من فحص الجوازات سألونا هل معنا سلاح فاضطررنا أن نجيب بالايجاب لأن بلاد بورما تحت الأدارة الهندية ومحظور قطعيا دخول الهند بسلاح من أى نوع . والقانون صارم وصريح بمنع حمل السلاح فان

وجد من يحمل سلاحا بلا ترخيص فجزاؤه السجن لمدة سنتين .

وأخذ رجال البوليس سلاحى وسلاح مختار افندى ووعدونا برده الينا عند خروجنا من البلاد الهندية فى بومباى . وقد أصروا على أخذ السلاح مع أننى أظهرت لهم جواز سفرى وهو جواز سياسى ومع أننى أفهمتهم أننى أحمل هذا السلاح منذ ٢٥ سنة لم أستعمله فيها مرة واحدة وان شاء الله قد لا ألجأ إلى استعماله فى المستقبل . ثم إنى بينت لهم ضرورة حملى اياه لأننى فى سياحاتى أتجول بالسيارات وأخترق الغابات فلا مناص لى من حمل السلاح ولو من باب الوقاية على الأقل لأنه قد يحدث عطل فجأئى للسياره ونحن فى جهة موحشة مقفرة فيضطر الأنسان إلى الدفاع عن نفسه فيما لو دنت منه بعض الحيوانات المفترسة . على أن رجال البوليس لم يقبلوا شيئا من هذه المعاذير وأصروا على أخذ السلاح . فلما ناولتهم مسدسى حاولوا فتح خزانته لانتزاع الرصاص منها فأعياهم فتحه لكثرة ما علاه من الصدأ فلما رأيت منهم الاصرار قلت لهم فى شىء من التهكم « خذوا سلاحى هذا هدية لكم فليست له قيمة عندى » ثم قلت اننى لاأريد أن يردوا سلاحى الى فى بومباى بل تنازلت لهم عنه كلية .

فى رانجون

فى منتصف الساعة الرابعة بعد الظهر رست الباخرة أمام الرصيف فصعد الينا من قبل شركة كوك مستخدم هندى لمرافقتنا الى «فندق ستراند» الذى انتوينا الاقامة فيه . ولاحظنا أن السيارة التى أحضرها لنا مهشمة وقذرة

حتى أنها لم تنقلنا إلى الفندق إلا بمنتهى الصعوبة . ولشدة كدرى من هذه السيارة المحطمة ولعدم وجود مندوب أوربى من طرف شركة كوك ذهبت من فورى إلى مكان الشركة للاحتجاج على تصرف مندوبها . ومما قلته لهم « إننى منذ خمس وأربعين سنة وأنا أطوف العالم بواسطة شركة كوك وكنت صديقا المستر كوك نفسه ثم لأولاده وكنت أينما ذهبت فى الماضى يخف لاستقبالى مدير شركة كوك شخصيا ولا يزال ملازما لى إلى أن أنزل بالفندق الذى يكون قد اختاره بنفسه لنزولى كل ذلك ليضمن راحتى . فكيف اذن لم اجد منذ دخولى الى المياه الهندية شيئا من عناية تلك الشركة ولا اهتمامها ؟ ولعله لو حضر شخص لائق من قبل شركة كوك لوفر علىّ مالاقيته من العناء فى الجمرك ولما كنت تعرضت للتعب الذى تعبته مع رجال البوليس بسبب السلاح » . فما كدت أفرغ من احتجاجى هذا حتى كان الجواب « إن مندوبى كوك الأفرنج فى الهند لا يهتمون مطلقا بشئون غير الاوربيين ! ! فدهشت لهذا الرد الجاف وعدت فورا الى الفندق وابرقت احتجاجا الى ادارة شركة كوك فى لندن وباريس قائلا « إن مندوبى كوك فى الهند لا يكفيهم أن يكونوا مجرد رؤساء شركة سائحين بل يريدون أيضا أن يظهروا بمظهر مندوبى وكالة سياسية . فاذا كنت سأعامل هذه المعاملة فى كلكتا فلتعلم الشركة من الآن انى سأستغنى عن خدماتها . »

وليس يمكن الاعتذار عن هذا التصرف المنافى لواجبات اللياقة بعدم وجود مندوبين أوربيين لمرافقتى إلى الفندق فلقد رأيت مكاتب وكالة كوك فى تلك البلاد شاسعة وبها رئيس وعدد من الموظفين الأجانب فكان فى

الاستطاعة بلا جدال انتداب مندوب أوربى للقيام بشؤونى .

على أننى اذا تمسكت بالمندوب الاوربى فليس ذلك الا لما شاهدته بنفسى ويعرفه كل إنسان وهو أن الشرق فى البلاد الخاضعة للحكومات الاجنبية لا اعتبار له على الاطلاق . ففى سبيله تقام العراقيل بلا ضرورة . وبالعكس ترى حامل القبعة تمهد له الطرق وتذلل المصاعب . فجىء مندوب أوربى أمر لا مناص منه إذن ليكفل التسهيلات اللازمة فى أمثال هذه المواقف .

ثم عدت الى الفندق حيث تناولت الشاى وخرجنا بعد ذلك بالسيارة للتجول فى أنحاء المدينة .

ورانجون ميناء وهي عاصمة بلاد بورما وموقعها على ضفة نهر رانجون اليسرى قبيل اتصاله بنهر بيجو وخليج بوزوندا ونج وعلى بعد ٢١ ميلا من البحر . وتبلغ مساحة المدينة ٢٢ ميلا مربعا وعدد السكان ٤٣٢٫٠٠٠ نسمة وهى أهم موانىء بورما وثالث ميناء فى الامبراطورية الهندية من حيث الاتساع . وقد أدخلت تحسينات عديدة فى المدينة فى السنوات الأخيرة فهى تضاء الآن بالكهرباء كما توجد فيها عدة خطوط للترام . وأهم صادرتها الارز والخشب والزيت والجلود والياقوت والقطن واللوبياء وبعض المواد التى تستعمل فى دبغ الجلود وفى الاصباغ .

من هذا ترى أن المدينة لها أهمية كبيرة ويسكنها كثير من الهنود والصينيين حتى ليصعب على الانسان لسبب كثرة هؤلاء أن تقع عينه على أحد البورمانيين الاصليين وقد رأينا فى الطريق رجالا عاريي الرؤوس محلقين مجردين من الملابس ماخلا حراما أصفر على الجسم مباشرة على شكل المحرمين وهؤلاء هم رجال الدين .

ورجال البوليس فى رانجون هم من طائفة السيخ المعروفين بطول القامة واللحية الكثة . ومما لفت نظرى بصفة خاصة كثرة المساجد فى بورما مع قلة عدد المسلمين . ثم أن البلاد قذرة برغم اتساع شوارعها . نعم توجد هناك عدة دكاكين أوربية كبيرة كما رأينا سوقا منظمة للخضر ولكنك قلما تجد منزلا كبيرا كان أم حقيرا إلا وتجد الأعشاب قد غطت واجهته وذلك لكثرة الأمطار وشدة الرطوبة .

وعدنا بعد ذلك الى الفندق لمطالعة الصحف والوقوف على انباء العالم .

٢٩ اغسطس

أصبحنا والمطر يهطل مدرارا وفى منتصف الساعة التاسعة ذهبنا بالسيارة لمشاهدة الأفيال وهى تستخدم فى نقل أعمدة الخشب فى الميناء ورصها بانتظام ، وكم كان أسفنا شديدا لحرماننا من مشاهدة هذا المنظر لأنه كان يوم العطلة للأفيال وإن كنا قد رأينا أربعة منها مربوطة استعدادا للعمل

ومن هناك ذهبنا لمشاهدة « الباجودا » أو المعبد الكبير . وهو عبارة عن جملة معابد صغيرة محاطة بسور منيع من الحجر على شكل الاستحكامات . وحول السور خندق مياه . ويدخل الانسان المعبد بواسطة باب هو آية فى الفن والتنسيق . ثم شهدنا حركة دخول وخروج كبيرة بين الأهالى . وإذ أفهمونا أن العادة عند زيارة هذه المعابد أن ينزع الانسان حذاءه وجواربه توقفنا عن الزيارة ، ولم يكن يسعنا أن ننزل على هذه العادة لأن رجال هذه المناطق اعتادوا مضغ مادة حمراء تسمى « تبال » ثم بصقها على الأرض بعد الفراغ من مضغها فيكون لون البصاق قانيا كلون الدم تتقزز

منه النفوس ومما يزيد الطين بلة وجود كلاب كثيرة بالمعبد مصابة بنوع من الجرب فاذا أضفت هذا الى ما تخلفه هذه الكلاب من القاذورات فى كافة أنحاء المعبد لاشمأزت نفسك من السير حافى الأقدام على هذه القاذورات . ولهذا عدلنا عن دخول المعبد واكتفينا بمشاهدة ما استطعنا مشاهدته منه من الخارج . وليس يخفى أن هذه المعابد البورمانية مشهورة بما تحتويه من بدائع صناعة حفر الخشب المزخرف بالذهب .

وغادرنا المعبد لرؤية بحيرة صغيرة بها نادى التجذيف وبقربها تمثال للملك ادوارد السابع . ومن هناك مررنا ببركة مقدسة شاهدنا الناس ينقلون اليها الأسماك من مختلف الجهات فتصبح هذه الأسماك مقدسة ! والى هذه البركة يحج الناس داعين الآلهة أن تجيب مطالبهم وفى اعتقاد القوم أن هذه المطالب لن تقضى إلا إذا اطعموا السمك الموجود فى البركة خبزاً !

ومن الغريب أن هذه البركة ليست قاصرة على السمك بل يوجد بها قليل من البط وليس من سبيل طبعا لمنع البط من التهافت على الخبز . ولكن الأهالى يدفعون أجراً زهيدا نحو مليم أو اثنين لأشخاص مخصوصين موجودين هنا مسلحين بالبوص الطويل ومهمتهم ابعاد البط عن مزاحمة السمك فى أكل الخبز . ومن غريب اعتقادات القوم أن السمك إذا بادر بالتهام خبز زيد من الناس قبل خبز شخص آخر قضيت حاجة الأول قبل الثانى . ولقد حدثتنا أنفسنا بالاشتراك فى هذه العملية من باب التسلية . وكم كانت دهشتنا لكثرة الأسماك التى تهافتت على الخبز فانها غطت سطح الماء فى الجهة التى القيناه فيها .

ومع اننا وقع اختيارنا على سائق سيارة يحسن التكلم باللغة الانجليزية إلا أن شأنه معنا كان عجيبا . فكلما أردنا منه شيئا تظاهر بعدم فهم مانريد وراح يفعل طبقا لهواه ، مثال ذلك أننا استأجرنا سيارته بحساب الكيلومتر فما كان منه عند ماطلبنا اليه العودة الى الفندق بعد الفراغ من نزهتنا إلا أنه راح يلف بنا فى مختلف الجهات بلاحاجة الى ذلك وكلما ازددنا إلحاحا بالعودة إلى الفندق ازداد تجاهلا لرغبتنا . ولقد قضى طيلة الصباح وهو يلف ويدور الى أن عاد بنا حوالى الظهر الى الفندق من تلقاء نفسه . وقد فهمت من مسلكه هذا أن السائحين هنا فى غاية الخبث والاحتيال لأننا استأجرنا بالأمس سيارة لا بالكيلومتر بل بالساعة فكان السائق يسير بنا الهوينا نحو الجهة التى قصدناها حتى خيل الينا أن سيارته تزحف زحفا .

ثم ذهبنا بعد الظهر لابتياع بعض الفواكه الخاصة بهذه البلاد فرأيت فى السوق أقمشة جيدة ولا بد أن يكون القوم هنا مولعين بأكل الطيور كالدجاج والديكة الرومى يدل على ذلك كثرة هذين الصنفين فى السوق . كذلك قل عن شدة ولعهم بالزهور لحاجتهم إليها فى زيارة القبور وفى المنازل .

ثم تاقت أنفسنا للتنزه على الأقدام ولكن حالت دون ذلك حرارة الجو وقذارة الشوارع فعدنا الى الفندق .

وقد لاحظنا أن الاهالى برغم طيبة قلوبهم فانهم كسالى ، وبرغم سعة البلاد فسكانها قليلون ولذلك تراهم قانعين بما تمنحهم الطبيعة إياه للقوت . ولكن الانجليز عند ما استولوا على هذه البلاد أدركوا أنها غنية بمعادنها وأخشابها

فاستقر قرارهم على استعمارها . على انهم أحسوا أن البورمانيين لا يستطيعون الاضطلاع بهذه المهمة فجاؤوا من الهند بنحو ٠٠٠ر٠٠٠ر١٥ هندى للعمل فى الأرض وهكذا أصبح الأهالى الهنود أكثر من البورمان مما أثار الاحتجاج الشديد من البورمانيين .

ومما شهدته من المستغربات أن الانسان فى البلاد الغاصة بالسكان الفقراء يرضى فى سبيل الحصول على مجرد القوت أن يسخر كالحيوان فى مقابل أى أجر زهيد . لهذا كنت أشهد من شرفة الفندق كثيرا من المركبات الكبيرة ذات العجلتين مشحونة بالبضائع الواردة من الجمرك يسحبها أو يدفعها نحو ستة أشخاص من الهنود العرايا الأجسام إلا من القماشة الصغيره حول الحقوين . وهى عملية شاقة مضنية حتى إذا ما رآهم الانسان وهم فى لجة من العرق من كثرة التعب عاد به الخيال الى ما كان يراه من الصور التى تمثل العبيد فى عهد الرومان وهم مسوقون الى العمل . وكل ماهنالك من الفارق أن العبيد فى الأزمنة الغابرة كانوا يساقون بالكرباج أما هنا فهم مسوقون بمحض اختيارهم ولكن بدافع الكدح وراء العيش

ثم سألت أحد الهنود من موظفى الفندق لماذا لا يستخدمون المواشى فى جر هذه المركبات فكان الجواب أن خدمة المواشى على ندرتها فى بورما أكثر كلفة من هؤلاء الاشخاص . فوقلت وحمدت الله اننا لم نصل بعد الى هذا الحد فى مصر .

ولا يفوتنى أن أفوه بذكر مستشفى الجذام فى جهة « كندين » وهو